نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي
Al Jasrah Cultural & Social Club

سلسلة الذين أضاءوا الدَّرب ٤

أيُّها الطِفْلُ العَرَبِيُّ لكَ تَارِيخٌ عَرَبِيٌّ مُشَرِّفٌ، فَاقْرَأْ، وَتَعَلَّمْ، واعْمَلْ.

اللَّيثُ بنُ سعد
الإمامُ المتصدّقُ

بقلم: د. سناء شعلان

رسم: إبراهيم شاكر

اللّيثُ بنُ سعدٍ

"الإمامُ المتصدّقُ"

د. سناء شعلان

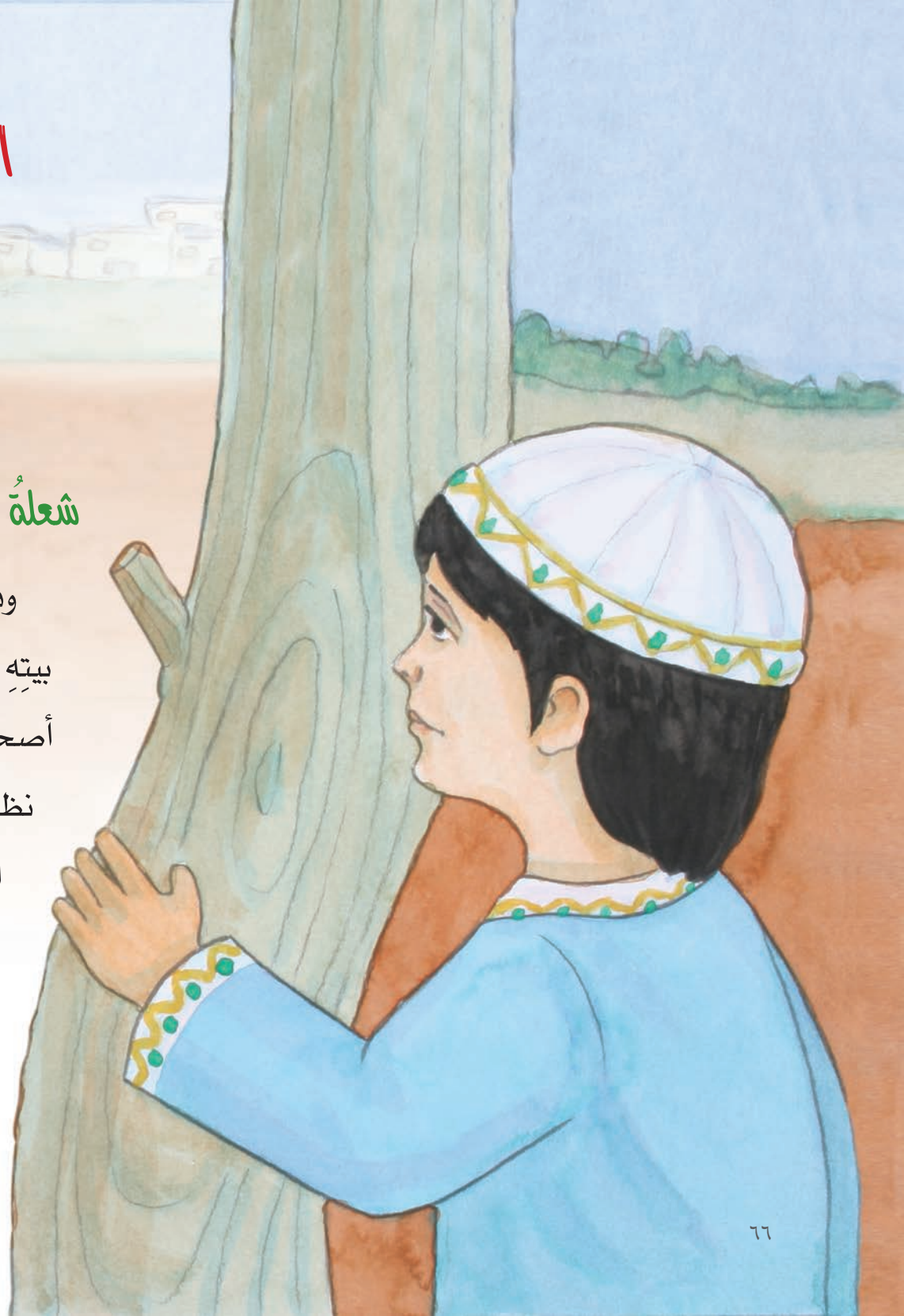

شعلةُ النّورِ

وقفَ الطّفلُ اللّيثُ بنُ سعدٍ على بابِ بيتِهِ الذي يشي (يشيرُ إلى) بحسنِ حالِ أصحابِهِ وثرائِهِمْ، وأجالَ (أدارَ وحرّكَ) نظرَهُ بعيداً في حقولِ قريتِهِ قَلْقَشَنْدَةَ التي تقعُ في جنوبِ مصرَ، وتبعدُ عن القاهرةِ مقدارَ ثلاثةِ فراسخَ (جمعُ فرسخٍ، وهوَ ثلاثةُ أميالٍ) حيثُ وُلدَ سنةَ ٩٤ للهجرةِ.

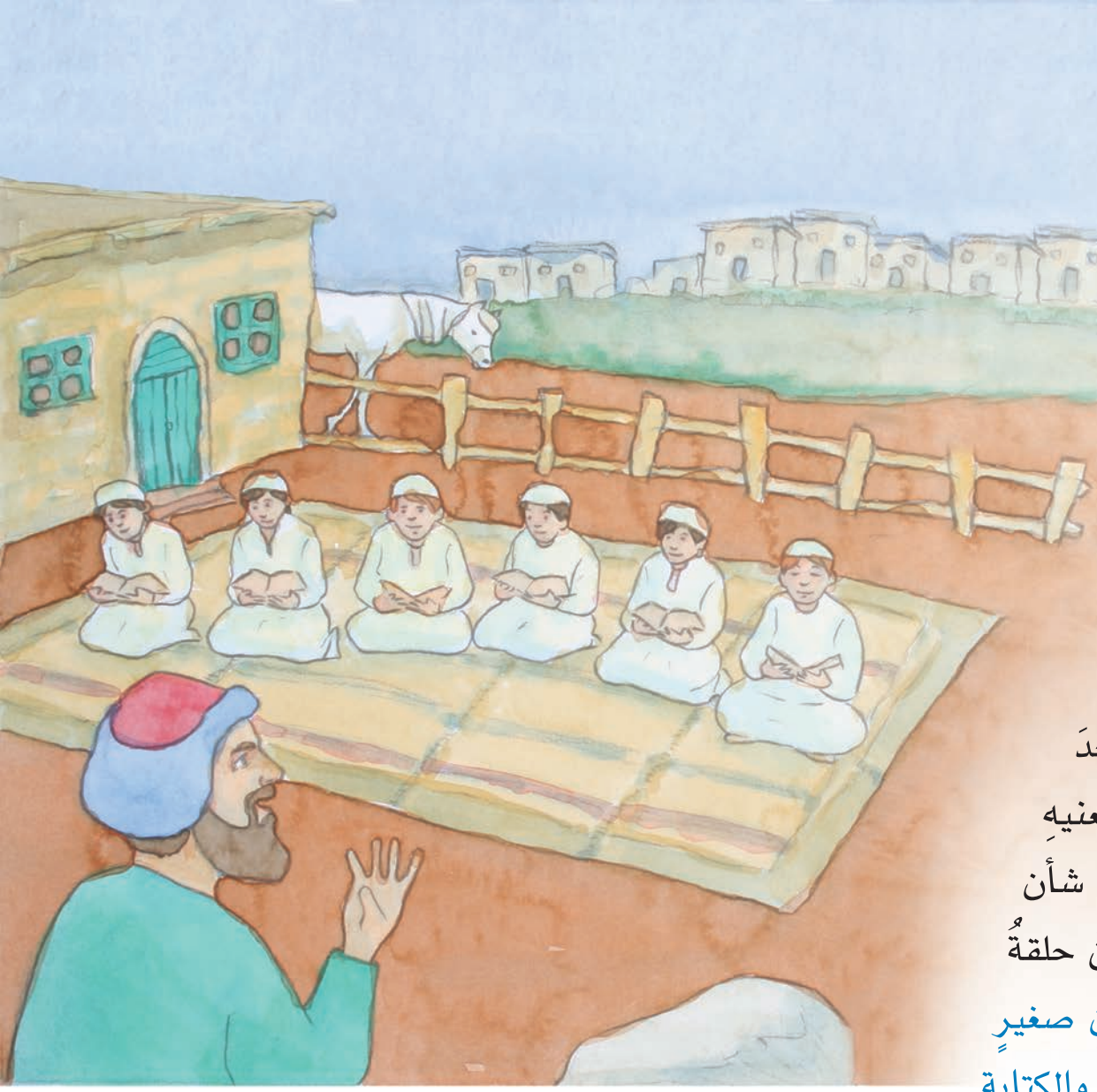

تنفّسَ بعمقٍ، وهوَ يستسلِمُ لجمالِ الطّبيعةِ ونقاءِ الهواءِ، وشرَعَ (بدأَ) يبحثُ عن شيءٍ يلفتُ نظرَهُ ويسلّيهِ، فما وجدَ مِنْ لهوِ الصّبيةِ ولعبِهَم ما يعنيهِ (يهمّهُ)، أو يثيرُ اهتمامَهُ، شأن (مثل) كلِّ الأطفالِ، ولكنّ حلقةُ الصّبيةِ في كتّابِ (مكانٍ صغيرٍ لتعليمِ الصّبيةِ القراءةِ والكتابةِ وحفظِ القرآنِ الكريمِ) القريةِ هيَ ما خطفتْ لبَّهُ (نالتْ اهتمامَهُ) وأشعلتْ في قلبِهِ جذوةَ (شعلةَ) حبِّ العلمِ والتعلّمِ. كانَ الصبيةُ عندئذٍ (في ذلكَ الوقتِ) يتعلّمونَ القراءةَ والكتابةَ، ويحفظونَ

القرآنَ الكريمَ، وشيخُهُم جالسٌ بينَهُم، يقوّمُ (يعدّلُ ويصحّحُ) أمرَهُم، عندَها أسرعَ اللّيثُ إلى منزلِهِ، وأطلقَ للرّيحِ ساقيْهِ (ركضَ سريعاً) الصّغيرتين متجهاً إلى بيتِهِ، وعادَ سريعاً إلى الكتّابِ يتأبطُ (يضعُ تحتَ إبطِهِ) أوراقاً، ويحملُ قلماً، واندسَّ في حلقةِ الكتّابِ، واستعدَّ ببراءةٍ طفوليّةٍ

كي ينهلَ (يأخذَ) من العلمِ بقلبٍ شغوفٍ (محبٍّ بشدّةٍ) بالمعرفةِ، ونفسٍ يملؤُهَا إيمانٌ طاهرٌ، وبروحٍ متعطّشةٍ إلى نورِ الاتصالِ باللّهِ عبرِ (بطريقةِ) التفقّهِ بدينِهِ، والدّعوةِ إلى عبادتِهِ، والعملِ على مرضاتِهِ.

ابتسمَ الطّفلُ الصّغيرُ اللّيثُ لشيخِ الكتّابِ، وللصّبيةِ الذين يجلسون على مقربةٍ منْهُ، وتهيّأَ لأخذِ أوّلَ درسِ علمٍ في حياتِهِ، وعرّفَ بنفسِهِ قائلاً: أنا اللّيثُ بنُ سعدِ بنِ اللّيثِ بنِ سعدٍ بن عبد الرّحمنِ الفهميّ، أهلُ بيتي يقولون إنّنا من الفرسِ (أهلِ إيرانَ) من أهلِ أصبهانَ (مدينةٍ في إيرانَ)، وإنّنا موالي (همُ العبيدُ المحرّرون) قيسِ بنِ رفاعةَ، وهو مولى عبدِ الرّحمنِ بنِ خالدِ بنِ مسافرٍ الفهميّ، ولكنّني مسلمٌ، أفخرُ بحملِ رسالةِ الإسلامِ إلى البشريّةِ.

وبهمةٍ (ما همَّ بِهِ المرءُ من أمرٍ ليفعلَهُ) عاليةٍ بدأَ اللّيثُ دروسَ الحديثِ والفقهِ والعلومِ العربيّةِ، فسبقَ زملاءَهُ في ذلكَ، وكانَ نبوغُهُ (براعتُهُ وإجادتُهُ) المبكّرُ، وذكاؤُهُ الفريدُ عوناً لَهُ على إتقانِ كلِّ ما يتعلّمُ ويحفظُ، فقدْ كانَ قويَّ الذّاكرةِ، جيّدَ الحفظِ، عميقَ التّفكيرِ، قادراً على الاستنباطِ والفهمِ والإدراكِ. وسرعانَ ما أصبحَ أهلاً (يستحقُّ) لاحترامِ القاصي (البعيدِ) والدّاني (القريبِ)، ولفتَ الأنظارَ إليهِ بعلمِهِ وورعِهِ (خوفِهِ من اللّهِ)، وباتتْ (أصبحتْ) لَهُ مكانةٌ كبيرةٌ بينَ أهلِهِ، الذين أدركوا (عرفوا) فضلَهُ، وقدّموهُ (جعلوهُ مقدّماً) على مَنْ سواهِ (غيرِهِ)، ولكنّ الفتى الصّغيرُ لم يغترّ (يصابُ بالغرورِ) بهذهِ الشّهرةِ، وهذا

التّقديرِ، ولمْ يركنْ (يستسلمْ) إلى الكسلِ، بل استمرَّ يتعلّمُ، ويتزوّدُ، وينهلُ من العلماءِ، ويقبلُ بنهمٍ (بولعٍ ورغبةٍ) على الكتبِ وعلى القراءةِ، حتى آنَ (جاءَ وقتُ) لَهُ أنْ يصبحَ عالماً لَهُ حلقةٌ من حلقاتِ العلمِ، بعدَ أنْ قصَدَهُ (توجّهَ إليهِ) طالبو العلمِ.

مسيرةُ العلمِ

لمْ تكنْ نفسُ اللّيثِ التائقةُ (الرّاغبةُ) دائماً إلى المزيدِ من العلمِ لترضى بنهايةٍ للعلمِ والتعلّمِ، لذلكَ فقدْ طفقَ (بدأَ) يبحثُ عن العلمِ في كلِّ مكانٍ، ويطلبُهُ في أصقاعِ (جمعُ صقعٍ، وهي النّاحيةُ) مصرَ وأقاليمهَا وسائرِ ديارِ المسلمين. فتلقّى العلمَ على أيدي عددٍ كبيرٍ من كبارِ علماءِ عصرِهِ في مصرَ، ثم اشتاقَتْ نفسُهُ في عام ١١٣ للهجرةِ إلى زيارةِ بيتِ اللّهِ الحرامِ وزيارةِ قبرِ المصطفى محمدٍ –صلّى اللّه عليهِ وسلّمَ–، فشدَّ رحالَهُ (تهيّأَ للسّفرِ) وهو ابنُ عشرين سنةً، وأعدَّ نفسَهُ للسّفرِ، الذي التحقَ عبرَهُ بحلقاتِ العلمِ التي كانتْ منتشرةً في كلِّ مكانٍ على الرّغمِ من رسوخِهِ في العلمِ (تمكّنِهِ من العلمِ)، والتقى بالعطاءِ بنِ أبي رباحٍ، وابنِ أبي ملكيةَ، ونافعٍ مولى ابنِ عمرَ، وابنِ شهابِ الزّهريّ، ثم سافرَ بعدَ ذلكَ إلى بغداد طلباً للمزيدِ من العلمِ في سنةِ ١٦١ للهجرةِ، وذلكَ في شعبانَ، وشهدَ الأضحى في بغداد.

وما زالَ اللّيثُ يطلبُ العلمَ حتى وهو فقيهُ الدّيارِ المصريّةِ، وعالمُهَا، ومفخرةُ الأقاليمِ فيهَا، ورأسُ أكبرِ حلقاتِ العلمِ والإفتاءِ، وكانَ قدْ توافرَ لَهُ كلَّ الفضلِ في حفظِ القرآنِ وتفسيرِهِ وفقهِ النّحوِ وحفظِ الشّعرِ وحسنِ المذاكرةِ وفصاحةِ اللّسانِ العربيّ البليغِ إلى أنْ تحقّقَ حلمُ اللّيثِ، وأصبحَ من أكبرِ علماءِ الأمّةِ القائمين على خدمةِ الدّينِ الإسلاميّ ونصرتِهِ ونشرِهِ، وغدا (أصبحَ) فقيهَ مصرَ الأوّلَ، فدانتْ (شهدتْ بتفوقِهِ وعلمِهِ) العامّة، ولزمَهُ والي مصرَ وسلطانُهَا وقاضيهَا وناظرُهَا، فكانوا يحضرونَ مجلسَ علمِهِ الذي يعقدَ في كلِّ يومِ أربعاء، فيشاورونَهُ في أمورِ الرّعيةِ والدّولةِ، ويطيعون أمرَهَ؛ إذْ كانَ اللّيثُ بنُ سعدٍ رقيباً على ذممِهُم (جمعُ ذمةٍ، وهيَ العهدُ والأمانُ)

وأماناتِهم، فإنْ حادوا (خرجوا) عن طريقِ الهدى، كتبَ إلى أميرِ المؤمنين، ليعزلَهُم عن وظائفِهم، وهوُ المسموعُ الكلمةِ، والثقةُ، والتقيُّ، كيف لا ؟! وقدْ عَرضَ عليهِ الخليفةُ العباسيُّ أبو جعفرٍ المنّصورُ أن ينوبَ (أنْ يصبحَ نائِبَهُ ووالياً لَهُ) لَهُ على أقاليمَ مصرَ، وأنْ يصبحَ والياً عليهَا، فقالَ لَهُ اللّيثُ: "لا يا أميرَ المؤمنين، إنّي أضعفُ مِنْ ذلكَ، إنّي رجلٌ مِنْ الموالي". فقالَ أبو جعفرٍ المنّصورُ: "ما بكَ ضعفٌ معي، ولكن ضعفتْ نيتكُ في العملِ عن ذلكَ لي (أيّ لم ترغبْ في أنْ تكونَ والياً)".

كذلكَ عَرضَ عليهِ الخليفةُ العباسيُّ المهديُّ ذاتَ يوم أنْ يتولّى القضاءَ، ويعطيهِ من بيتِ المالِ مئةَ ألفِ درهم، فرفضَ اللّيثُ ذلكَ، وقالَ معتذراً: "إنّي عاهدتُ اللّه ألاّ ألي (أصبحُ والياً) شيئاً، وأعيدُ أميرَ المؤمنين باللّه ألاّ أفي بعهدي". فقالَ لَهُ المهديُّ: "اللّه !!! (تعجّبَ) انطلقْ، فقدْ أعفيتُكَ". ولا غروَ (لا عجبَ) في ذلكَ، فما كانَ اللّيثُ ليشتغلَ بالولايةِ أو القضاءِ عن العلمِ الذي كان بحقٍ سادَنَهُ (خادمَهُ)، وفي ذلكَ كانَ النّاس يقولون: "لولا مالكُ بنُ أنسٍ واللّيثُ بنُ سعدٍ لضلَّ النّاسُ"، ومالكُ حينئذٍ (في ذلكَ الوقتِ) كانَ عالمَ الأمّةِ، وفقيهَ المدنيةِ المنوّرةِ وصاحبَ أحدِ المذاهبِ الفقهيّةِ الأربعةِ، بل كادَ يكونُ لليثِ مذهبٌ فقهيٌّ خامسٌ، إلاّ أنَّ تلاميذَهُ لم يقوموا بتدوينِ علمِهِ وفقههِ ونشرِهِ في الآفاقِ (في كلِّ مكانٍ) كما فعلَ تلاميذُ الإمامِ مالكٍ، وكثيراً ما قالَ الإمامُ الشّافعيُّ: "اللّيثُ أفقهُ من مالكٍ إلا أنَّ أصحابَهُ – يعني تلاميذَهُ وأتباعَهُ – لم يقوموا بِهِ (أيّ لم ينشروا علمَهُ) وكانَ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ يقولُ: "اللّيثُ ثقةٌ ثَبَتٌ (حجةٌ يُوثقُ به)، كثيرُ العلم، صحيحُ الحديثِ".

وكثيرٌ من العلماءِ رأوا أنَّ اللّيثَ بنَ سعدٍ أكثرَ علماً وفقهاً من صديقِهِ ومعاصرِهِ مالكِ بنِ أنسٍ الذي كانَ بينَهُ وبينَ اللّيثِ مراسلاتٌ علميةٌ كثيرةٌ، يعرضُ كلٌّ منهُمَا فيهَا قواعدِ مذهبِهِ (منهجِهِ وطريقتِهِ) ويدافُعُ عنهَا، ويردُّ على صاحبِهِ بأسلوبٍ قويٍّ، وبلغةٍ فصيحةٍ جميلةٍ، وخلقٍ إسلاميٍّ رفيعٍ.

وكانَ اللّيثُ بنُ سعدٍ حافظاً لأحاديثِ النّبيِّ، وعارفاً بصحيحِها، ولَهُ أحاديثُ كثيرةٌ في كُتبِ الصّحاحِ.

وبلغَ من علمِ اللّيثِ أنَّهُ كانَ يُنتدبُ (يُختارُ مندوباً وممثلاً) من علماءِ عصرِهِ لا سيما أساتذته ليكونَ المجادلَ في المناظراتِ، كذلكَ كانَ مقصدَ الخليفةِ الرّشيدِ في كلِّ مسألةٍ معضلةٍ (مشكلةٍ صعبةٍ) تصعبُ عليهِ، فيحلُّهَا اللّيثُ بعلمِّهِ الذي يسّرَهُ اللّه لَهُ. وقدْ أوصى المهديُّ وزيرَهُ يعقوبَ بنَ داودَ قائلاً: "الزمْ هذا الشّيخَ –يعنى اللّيثَ بنَ سعدٍ– فقدْ ثبتَ عندي أنّهُ لم يبقَ أحدٌ أعلمُ بما حملَ منهُ".

وقالَ الخليفةُ العباسيُّ أبو جعفرٍ المنّصورُ لمّا ودّعَ اللّيثُ بنُ سعدٍ في بيتِ المقدسِ (مدينةِ القدسِ في فلسطين)، وقدْ أعجبَهُ ما رأى من ذكائِهِ وحكمتِهِ وعلمِهِ: "الحمدُ للّهِ الذي جعلَ في رعيتي مثلَكَ".

وقد آلمَ اللّيثُ بنُ سعدٍ أن يجدَ أهلَ مصرَ ينتقصون عثمانَ بنَ عفّانَ، وهوَ الصحابيُّ الجليلُ، فحدَّثهُم طويلاً بفضلِهِ ومكانتِهِ، فأجلّوهُ، وكفّوا (توقفوا) عن انتقاصِهِ.

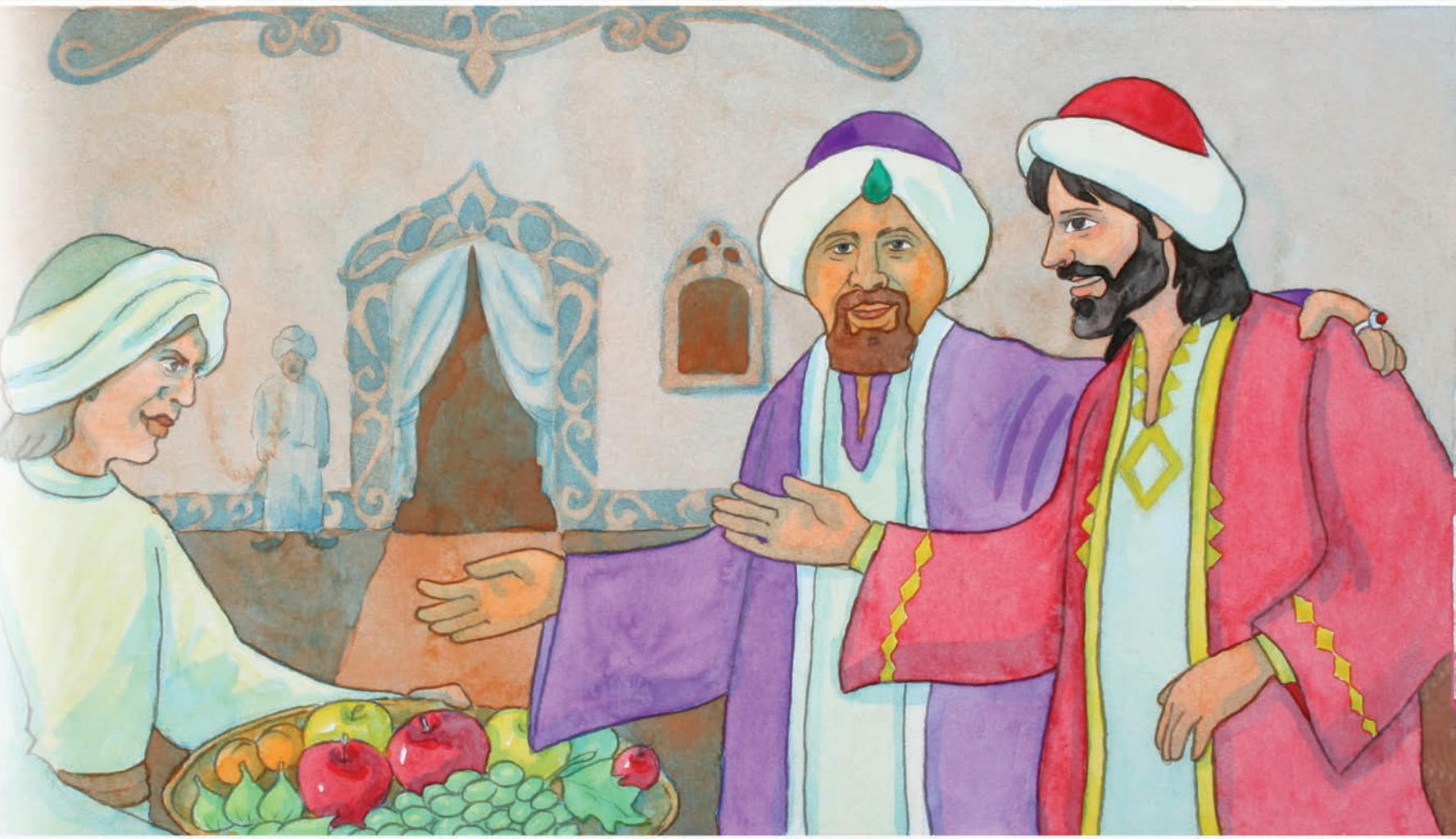

الإمامُ السّخي

فاضتْ نفسُ الإمامِ أبي الحارثِ اللّيثِ بنِ سعدٍ كرماً وسخاءً وعطاءً وحبّاً على كلِّ من حولِهِ، فإيمانهِ بأنَّ المالَ هو مالُ اللّهِ، وأنّ للفقراءَ والمساكينَ حقٌّ معلومٌ فيهِ، وأنَّ الغنيّ هوَ

من بُورِكَ لَهُ في ميزانِ حسناتِهِ يومَ القيامةِ جعلَهُ يطيبُ نفساً، ويجودُ (يكرمُ بشدةٍ) يداً، وأعانَهُ اللّه على ذلكَ بأنْ بارِكَ لَهُ في مالِهِ وفي تجارتِهِ، فكانَ تاجراً ثريّاً وكريماً، ينفقُ في كلِّ سنةٍ من مالِهِ على الفقراءِ والمساكينِ أكثرَ من خمسين ألفَ دينارٍ، ولا يدّخرُ (يحتفظُ بجزءٍ من الشّيءِ للمستقبلِ) منهَا شيئاً لنفسِهِ، بل ينتهي العامُ، وعليهِ ديونٌ، فلا تجبُ عليهِ زكاةٌ قطُّ (أبداً)؛ إذ كان يتصدّقُ بكلِّ مالِهِ قبلَ أنْ يحولَ عليهِ الحولُ (العامُ).

وبلغَ من كرمِ اللّيثِ أنّهُ كانَ يتصدّقُ في كلِّ يومٍ على ثلاثمئةٍ مسكينٍ، ويطعمُ النّاسَ عسلَ النّحلِ وسمنَ البقرِ في الشّتاءِ، واللّوزَ والسّكرَ في الصّيفِ، ويجعلُ النّصفَ الثاني من زمنِ مجلسِهِ في كلِّ يومِ أربعاء لمسائلِ النّاسِ ولحوائجِهُم، لا يسألَهُ أحدٌ فيردَّهُ، كبرتْ حاجتُهُ أم صغرتْ.

وقدْ جاءتَهُ امرأةٌ ذاتَ يومٍ، وقالتْ لَهُ: "يا شيخَنَا إنَّ لي ابناً مريضاً يشتهي أكلَ العسلِ". فقالَ اللّيثُ: "يا غُلام، أعطهَا مرطاً" (المرطُ مئةٌ وعشرون رطلاً، والرّطلُ ثلاثة كيلو) من عسلٍ، وكانَ مع المرأةِ إناءٌ صغيرُ الحجم، فلما رآهُ الغلامُ، قالَ: "يا شيخَنَا، إنّهَا تطلبُ قليلاً من العسلِ". فقالَ اللّيثُ: "إنَّها طلبتْ على قدرِهَا، ونحنُ نعطيَها على قدرِنَا". وأمرَهُ أنْ يعطيَها المرطَ كاملاً.

واحترقتْ دارُ الإمامِ ابنِ لهيعةَ، فوصلَهُ اللّيثُ (أعطاهُ) بألفِ دينارٍ، وكثيراً ما كانَ يصلُ العلماءَ وطلاّبِ العلمِ، ويعينهم على معاشِهُم، وانْ كانوا يقطنون (يسكنون) خارجَ مصرَ، فقد رُوي أنَّهُ كانَ يصلُ الإمامَ مالكاً بنَ أنسٍ بمئةِ دينارٍ في السّنةِ، وكتبَ مالكٌ إليهِ يوماً يخبرُهُ بأنَّ عليهِ ديناً، فبعثَ إليهِ اللَّيثُ على الفورِ بخمسمئةٍ دينارٍ، وعندما آنَ (حانَ وقتُ) موعدُ زفافِ ابنتهِ طلبَ

من اللّيثِ أن يرسلَ لَهُ شيئاً من عُصفرٍ (صبغة لوُنَها أصفرُ) فبعثَ إليهِ اللّيثُ حبّاً وكرامةً (بسعادةٍ ورغبةٍ) ثلاثين حملاً (الحملَ ما تحملَهُ الدّابةُ الواحدةَ) عُصفراً، فباعَ منهُ بخمسمئةِ دينارٍ، وبقيَ عندَهُ فضلةٌ (زيادةٌ).

وعندما زارَ اللّيثُ بنُ سعدٍ المدينةَ المنوّرةَ، بعثَ إليهِ الإمامُ مالكٌ بنُ أنسٍ طبقاً من الرّطبِ (التَّمرِ)، فلم يرغبْ اللّيثُ في أن يردَّ الطّبقَ إلى الإمامِ مالكٍ فارغاً، فأرسلَ إليهِ فيهِ ألفَ دينارٍ.

وآمنَ اللّيثُ بنُ سعدٍ بأنَ من واجبِ المسلمِ أن يظهرَ نعمةَ اللّه عليهِ، وأن يسعدَ بكلِّ لذةٍ ونعمةٍ حلالٍ، فبنى داراً كبيرةً في الفسطاطِ (مدينةِ مصر العتيقةِ التي بناها عمرو بن العاص)، لَها نحوَ (ما يقاربُ) عشرون باباً، وجعلَ فيها حديقةً مليئةً بالأشجارِ والزّهرِ والرّيحانِ، وملأ دارَهُ بما استطاعَ الوصولِ إليهِ من كتبٍ. وكانَ عندَ اللّيثِ ثياباً بعددِ أيامِ السّنةِ، فما يلبسُ الثّوبَ نفسَهُ يومين متتاليين، وكانَ ينعمُ بأطيبِ الطّعامِ، ويخرجُ للتنزّهِ في الحدائقِ والأسواقِ، ويأكلُ اللّحمَ في كلِّ يومٍ، ولا يجلسُ إلى الطّعامِ إلا مع النّاسِ (الضّيوفِ).

وعندما علمَ الأمامُ مالكُ بنُ أنسٍ بشأنِهِ (بأمرِهِ) كتبَ إليهِ معاتباً: "بلغني أنّكَ تأكلُ الرّقاقَ (الخبزَ المنبسطَ الرّقيقَ)، وتلبسُ الرّقاقَ (أيّ الثيابَ الرّقيقةَ الفاخرةَ) وتمشي في الأسواقِ، فكتبَ إليهِ اللّيثُ: "قالَ تعالى: ﴿قلْ مَنْ حرّمَ زينةَ اللّهِ

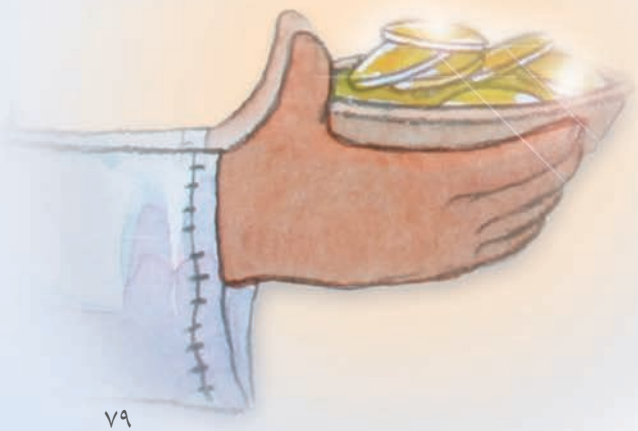

التي أخرجَ لعبادِهِ والطّيباتِ من الرّزقِ قل هيَ للذين آمنوا في الحياةِ الدّنيا خالصةً يومَ القيامةِ كذلكَ نفصّلُ الآياتِ لقومٍ يعلمون﴾ الأعراف (٣٢)، ويبدو أنَّ الأمامَ مالكاً بنَ أنسٍ قد اقتنعَ بردِّ اللّيثِ، فشرعَ (بدأَ) هوَ الآخرُ يُعتني (يهتمُّ) بملبسِهِ ومأكلِهِ، ويتنعّمُ بهِمَا.

ولكي يستطيعَ اللّيثُ أنْ يعبدَ اللّه َبصحةٍ جيدةٍ، وبدنٍ سليمٍ، وهو مَنْ كانَ يصلُ اللّيلَ بالنّهارِ عبادةً، فقدْ كانَ يُعنى أبلغَ العنايةِ بصحتِهِ حتى ليبدوَ أصغرَ من سنّهِ بأعوامٍ، فيظنَّ الرائي أنّهُ أصغرُ ممّنْ هو يكبُرُهُم، وكانَ يتبّعُ سنَةَ الرّسولِ –صلّى اللّه عليهِ وسلّم– في العنايةِ بالصّحةِ، فيعطي جسدَهُ حقَّهُ من الرّاحةِ، ويعطي قلبَهُ حظَّهُ (نصيبهُ) من المرحِ، ويهبُ (يعطي) عقلَهُ ونفسَهُ ما يحتاجان إليهِ من سكينةٍ وهدوءٍ وإيمانٍ بقضاءِ اللّهِ وقدرهِ تجنباً للانفعالاتِ التي تتلفُ (تفسدُ وتخرّبُ) الصحّةَ.

ولكنَّ نعيمَ الحياةِ ما كانَ ليشغلَ اللّيثُ بنُ سعدٍ عمَّا يؤمنُ بِهِ من أهميةِ تحصيلِ العلمِ، وتعليمِ النّاسِ، ونشرِ الإسلامِ، والقيامِ على التصدّقِ على المسلمين الفقراءِ، وتحسينِ أحوالِهِم، فانصرفَ إلى الإفتاءِ والتعليمِ والفقهِ حتى كانتْ آراؤهُ بمثابةِ مدرسةٍ فقهيةٍ، ولطالما أنكرَ على التّجارِ تعلّقَ قلوبِهِم بحوانيتِهِم، وتقصيرِهِم في القيامِ بواجباتِهِم الدّينيّةِ على خيرِ وجهٍ، ونادى (طالبَ) بالعدلِ، والتصدّقِ على المسلمين والإحسانِ إليهم.

ترجُّلُ الفارسِ

واقتضتْ حكمةُ اللّهِ التي جعلتْ الموتَ مآلَ كلِّ كائنٍ أن يترجّلَ اللّيثُ بنُ سعدٍ عن هرمِ علمِهِ، وأنْ ينزلَ عن كرسيِّ سخائِهِ، وأنْ يفارقَ محبيّهِ وتلاميذَهُ وسائرَ الفقراءِ والمساكين الذين أنفقَ مالَهُ عليهم، وعاشَ رحيماً بِهِم، وذلكَ في يومِ الجمعةِ ١٥ شعبانَ ١٧٥ للهجرةِ الموافقِ ١٦ كانونَ الأوّلَ ٧٩١ ميلادي.

وقدْ خرجَ في جنازتِهِ خلقٌ كثيرٌ، حتى كانتْ جنازتُهُ أعظمَ ما رأى معاصروهُ، وحزنَ النّاسُ عليه حزناً عظيماً، وأقبلَ بعضُهم على بعضٍ يعزّون، ويبكونَ بعدَ رحيلِ الفقيهِ الحاني المحبِّ الذي ضربَ لَهُمْ (أعطى مثالاً) أجملَ صورَ الزُّهدِ بمناصبِ الدّنيا، والإنشغالِ عن الجاهِ والسّلطانِ والمالِ بغرسِ الأخلاقِ العظيمةِ في نفوسِ النّاسِ، حتى أنّ هذا الهدفَ النّبيلَ قدْ شغلَهُ عن تدوينِ علمِهِ الثّرِّ (الكثيرِ والغزيرِ) في مصنّفاتٍ (كتبٍ)، وانتقلَ إلى الحياةِ الآخرةِ إلى جوارِ ربِّهِ، لا يحملُ معَهُ إلاّ عملَهُ الطّيبَ، وعلمَهُ الذي أفادَ المسلمين بِهِ.

وكانَ الأمامُ الشّافعيُّ يحبُّ لقاءَ اللّيثِ، ويتمنّاهُ، ويسعى إليهِ، لكنَّ القدرَ لم يمهلهُ، فوقفَ يوماً على قبرِهِ في القاهرةِ في القرافةِ الصّغرى، وقالَ: "للّهِ درُّكَ !!! (أسلوبُ تعجبٍ يعني دعاءٌ بكثرةِ الخيرِ) يا أمامُ، قدْ حُزتَ (أخذتَ) أربعَ خصالٍ لم يكملنَ لعالمٍ: العلمَ، والعملَ، والزّهدَ، والورعَ".

لوّن معنا